

أضواء البيان

@ 280 @ وقوله تعالى { فَأَنشَرْنَا بِرِهِ بِلَادَةً مَّيِّتَةً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ }
ومن ذلك قوله هنا { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ } بدليل قوله بعده : .
قوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَى }
إلى قوله { وَأَنَّ اللَّهَ يَدْعُهُ مَن فِي الْقُبُورِ } . .
قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مِّنْ نَّبِيِّ * ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ } . قال بعض
أهل العلم : الآية الأولى التي هي { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } نازلة في الأتباع الجهلة الذين يجادلون
بغير علم ، اتباعاً لرؤسائهم ، من شياطين الإنس والجن ، وهذه الآية الأخيرة في الرؤساء
الدعاة إلى الضلال المتبوعين في ذلك ، ويدل لهذا أنه قال في الأولى { وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَانٍ } وقال في هذه { ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } فتبين
بذلك أنه مذل لغيره ، متبوع في الكفر والضلال ، على قراءة الجمهور بضم ياء يضل . وأما
على قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو : بفتح الياء ، فليس في الآية دليل على ذلك ، وقد قدمنا
معنى جدال الكفرة في [] بغير علم ، فأغنى عن إعادته هنا . .
وقال بعض العلماء في قوله في هذه الآية الكريمة { بِغَيْرِ عِلْمٍ } أي بدون علم
ضروري ، حاصل لهم بما يجادلون به { وَلَا هُدًى } أي استدلال ، ونظر عقلي ، يهتدي به
العقل للصواب { وَلَا كِتَابٍ مِّنْ نَّبِيِّ } أي وحْيٍ نير واضح ، يعلم به ما يجادل به ،
فليس عنده علم ضروري ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلي ، ولا علم من وحْيٍ ، فهو جاهل
محض من جميع الجهات ، وقوله { ثَانِي عَطْفِهِ } حال من ضمير الفاعل المستكن في :
يجادل : أي يخاصم بالباطل في حال كونه ثاني عطفه : أي لاوي عنقه عن قبول الحق استكباراً
وإعراضاً . فقوله : ثاني اسم فاعل ثَانِي الشيء إذا لواه ، وأصل العطف الجانب ، وعطف
الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركيه ، تقول العرب : ثنى فلان عنك عطفه : تعني أعرض
عنك . وإنما عبر العلماء هنا بالعنق فقالوا : ثاني عطفه : لاوي عنقه : مع أن العطف يشمل
العنق وغيرها ، لأن أول ما يظهر فيه الصدود عنق الإنسان ، يلويها ، ويصرف وجهه عن الشيء
بليها . والمفسرون يقولون : إن اللام في قوله { لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ونحوها

من الآيات مما لم تطهر فيه